

نشرنا في العدد الثالث من هذه المصحفة فصلا في ما بالعنوان أعلاه لصاحب السعادة الأستاذ الفقيه سيدي محمد الحجوي وزير المعارف بالمغرب الأقصى، وقد لنا إن لنا كلمة نعلق بها على بعض النقط من كلام الوزير نرجئها إلى عدد قابل، ووفاء بهذا الموعد الذي قطعناه للقراء نقول:

في كلام الوزير من الحقائق الثابتة ما لا يخفى على أي مُصنف لم يعمه الغرض والهوى، فهو يُقرر كما هو الواقع >> أن الإمام أبا عبد الله محمد بن عبد الوهاب المزعيم الأكبر قد برع في علوم الدين واللسان وفاق الأقران، واشتهر بالتقوى وصدق التدين، عقيدته السنّة الخالصة على مذهب السلف المتمسكين بمحض القرآن والسنّة، لا يخوض التأويل والفلسفة، ولما يدخلها في عقيدته، وفي الفروع مذهبه حنبلي غير جامد... >> ويقرر أيضا — كما هو الواقع — أن مبادئ الوهابية >> المتمسك بالسنّة والإمام المناس بصدّة الجماعة وترك الخمر وإقامة الحد على متعاطيها ومنعها كلّا من مملكتهم بل منع شرب الدخان ونحوه مما هو من المشبهات... وغير ذلك من التشديدات التي لا يراها المتساهلون المترخّصون (!!!) وكل هذا لا يخالف السنّة... >>

ولكنّ مع إثباته لهذه الحقائق قال: >>... وأعظم خلاف بينهم وبين أهل السنّة هو مسألة التوسّل، وتكفيرهم من يتوسّل بالمخلوق... >> وهذا وهم وهمه سعادة الوزير، فإنه لا يوجد في نفس الأمر أدنى خلاف بين الوهابيين وبين أهل السنّة إلا ما هو موجود بين أهل السنّة أنفسهم فالوهابيون حنابلة سنيون بأنتم معنى الكلمة، وحسبك أنه ليس لهم كتب مذهبية للمذهب الوهابي مثلا، بل كتبهم هي كتب الحنابلة نفسها وهم حينما نظموا القضاء الإسلامي في الحجاز لم يجعلوا في محاكمه الشرعية قضاة واهبيين ولكنهم نصبوا فيها قضاة حنابلة وشواغف وحنفيّة ومالكيّة وإذا كان هناك خلاف فهو بين المتمسكين بالكتاب والسنّة من أهل السنّة وبين الجامدين منهم والمتساهلين المترخّصين الذين يتبعون أهواءهم، وهنا مسألة جوهرية لا بأس بالإشارة إليها، وهي أن كتب الحنابلة التي يقرئها الوهابية وغيرهم هي كتب سنّة وحديث أكثر مما هي كتب فقهية حنبليّة، وهم لا يزالون يؤلّفونها على طريقة السلف الصالح وأئمّة هذا الدين الحنيف، بخلاف كتبنا نحن المالكية التي يؤلّفها فقهاؤنا المتأخرون في المذهب المالكي مثلا فهي خالية من السنّة والحديث حتى إنك لتقرأ كتابا ذا أجزاء من كتب المتأخرين من أوله إلى آخره فلا تكاد تعثر فيه على حديث شريف ولما على أثر من آثار الصحابة رضي الله عنهم، وبعبارة أخرى أن كتب الحنابلة المتأخرين لا تزال كتب سنّة وحديث ككتب المتقدمين أما كتب المتأخرين من المالكية والحنفيّة مثلا فقد خلت كلّها أو جلّها من السنّة والحديث، بل يسوق لك مؤلّفها الأحكام مجردة عن كل نظر واستدلال ولما يخفى أن كتب السنّة والحديث تجعل قارئها سنيا سلفيا شديد الماتصال بالرسول صلى الله عليه وسلم وشديد الماتصال بالسلف الصالح وبعيدا كل البعد عن التقليد والمجمود وبعيدا عن البدع ومحدثات الأمور، ومن هنا جاء الخلاف بين الوهابية من أهل السنّة الآخرين إن كان هناك خلاف... والوهابيون أو حنابلة نجد لا يقولون بكفر من يتوسّل المتوسّل الشرعي، بل يقولون بكفر من يدعو مع الله إليها آخر، ومن معاني >> التوسّل >> عند الجامدين (من أهل السنّة) أن هم يدعون من دون الله ما ينفعهم ولما يضرهم! وأحسب أن من يطالع كتاب >> التوسّل والوسيلة >> لشيخ الإسلام ابن تيمية يرى صدق ما نقول، وهذه العقيدة ليست عقيدة حنابلة نجد وحدهم بل هي عقيدة السلف الصالح وعقيدة أهل السنّة جميعا (ماعداء الجامدين منهم والمتساهلين).

وحسبنا أن مولانا سليمان سلطان المغرب الأقصى قد قبل الدعوة الوهابية وارتضاها — وهو صوفي تجاني — ولم يقبلها إلا بعد أن أرسل نجله المولى إبراهيم في وفد من العلماء الأعلام إلى الحرميين المشريفيين وتباحث الوفد المغربي مع بعض علماء نجد الوهابيين فلمّا تحقق علماء المغاربة أن الوهابية ما هي إلا التمسك بالقرآن الكريم وبالسنّة النبوية الصالحة وافقوا عليها ووافق عليها كلّها المولى سليمان، وإذا أنت تتبعت أخبار هذا الوفد الذي أرسله مولانا سليمان إلى الحجاز وما جرى بينه وبين علماء نجد من المصارفة ظهر لك أنه لا محل لهذا الاستثناء الذي استثناءه سعادة الوزير إذ قال: >> إلا ما كان من تكفيرهم من يتوسّل بالمخلوق >> ولما داعي له مطلقا.

□ □ □ □ □ ولقد صدق الأستاذ المحجوي إذ قال : إن المسألة سيّاسية لا دينية وأن أهل الدين في الحقيقة مُتفقون وأن الأتراك العثمانيين هم الذين أثاروا هذا المنكير وهم الذين نشروا هذه الدعاية الكاذبة ضد ابن سعود الأول الذي كان افتك منهم الحرمين المشريطين مند مائة عام . وهم الذين استنجدوا بأمير مصر محمد علي باشا الكبير فعاونهم هذا على طرد الوهابية من الحرمين وعلى أسر ابن سعود . نعم الأتراك هم الذين سموا حنابلة نجد باسم << الوهابية >> وهم الذين نشروا عنهم التهم والمكاذيب في العالم الإسلامي واستأجروا الفقهاء في جميع الأقطار ليؤلفوا ويكتبوا ويكذبوا على حنابلة نجد وهم الذين ألّفوا كتابا ضد الوهابية ونسبوه إلى الشيخ سليمان بن عبد الوهاب شقيق الإمام محمد بن عبد الوهاب وهم الذين أخذوا ابن سعود أسيرا إلى الإستانة ولكنهم نكثوا العهد الذي عاهدوه فقتلوه غيلة وغدرا . وأنا أعتقد أن للأجانب يدا في هذه الحرب التي أثارها الأتراك العثمانيون على ابن سعود فإنّه يسوعهم أن يستولي ابن سعود على الحجاز ويسوعهم أن ينشر فيه الأمن والعدل والرحمة وأن يحكم فيه بما أنزل الله . وكان الحجاز على عهد الأتراك مباءة فوضى وقطع طرق فلما جاءه الوهابية أمّوا سبله ونشروا فيه الطمأنينة والعدل . وكان الأتراك في حرب مستمرة مع الأمير محمد علي صاحب مصر . ووقعت بينهم وبينه وقائع مؤلمة ذهب ضحيتها آلاف من المسلمين : الأتراك والمصريين . واتسع الخرق ما بينهما حتى استعدى محمد علي باشا بعض الدول الغربية على الأتراك . واستعدى الأتراك عليه بالإنكليز . وقد تنازل الترك للإنكليز عن عدن وعن قبرص لقاء المعونة التي يبذلها الإنكليز للأتراك على محمد علي . ولكن الإنكليز قد أخذوا عدن وقبرص وأخذوا مصر أيضا !! ومعنى هذا أن العداوة كانت مستحكمة بين محمد علي وبين الأتراك إلى درجة أنه لا يمكن معها إصلاح ذات البين ما بينهما . ولكن لماذا اتفق الأتراك ومحمد علي على حرب الوهابيين وعلى طردهم من الحجاز ؟ والجواب عن ذلك : أن الأجانب هم الذين وحّدوا بين الأتراك وبين محمد علي باشا ضد ابن سعود . وهم الذين جعلوا من جنود محمد علي ومن جنود الأتراك جيشا واحدا يحارب حكومة القرّان ويطردها من الحجاز . لأن سياسة مصر وسياسة تركيا كانت يومئذ في أيدي الأجانب يفعلون بها ما يشاءون .

□ □ □ □ □ بقي شيء واحد وهو قول الوزير : << إن مؤسس هذا المذهب هو شيخ الإسلام ابن تيمية . واشتهر به بن عبد الوهاب . >> والمواقع أن مؤسس هذا المذهب ليس هو ابن تيمية ولما ابن عبد الوهاب ولما الإمام أحمد ولما غيرهم من الأئمة والعلماء . وإن ما مؤسس له خاتم النبيين سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم . على أنه في الحقيقة ليس مذهب . بل هو دعوة إلى الرجوع إلى المسنة النبوية المشريضة وإلى التمسك بالقرآن الكريم . وليس يهمنا شيء آخر غير هذا .

وهران □ السعيد الزاهري (المصراط السوي العدد الخامس)

□ □ □ □ □ حاشية : عندما وقع هذا الخلاف القائم اليوم بين الإمام يحيى صاحب اليمن والمملك ابن سعود جعلت الجرائد العربية في كلّ قطر تُعبّر عنه بقولها : << الخلاف بين أهل المسنة وبين الشيعة >> والمراد بأهل المسنة أهل نجد والحجاز وبالشيعة أهل اليمن . ويحتج بعض الناس لابن سعود بأن أهل عسير هم سنّيون □ شواضع فهو أحق بحكمهم ويحتج آخرون لإمام اليمن بأن عسير هي أرض يمانية . ز .